

مَجَلَّةُ الْجَمْعِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ الشَّعْبِيَّةِ لِلْغَلَاةِ الْعَرَبِيَّةِ



﴿ مجلّة عامية دورية محكمة نصف سنوية ﴾

- ◆ ما استظهره الأبدئي من كلام سيبويه - دراسةٌ وصفيةٌ تحليلية
د. ماجد بن مقبل الخضيري
- ◆ ناصب المستثنى بـ(إلا) عند سيبويه
د. موسى بن ناصر الموسى
- ◆ بلاغة التَّمْنِي بـ(ليت) ومقاماتها في القرآن الكريم
د. محمد بن أحمد الخضير
- ◆ رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) للجاحظ - دراسة تداولية حجاجية
د. هند بنت داود الشقير
- ◆ أثر استعارة (الابن سلاح) في استرسال المعنى الشعري القديم في الرثاء: مقارنة
أجناسية إدراكية
د. محمد بن مشبب الشهراني
- ◆ الموت والحياة في رواية (المزهاف) - دراسة سيميائية
د. بسمة بنت محسن العتيبي
- ◆ المعجم الرقمي التعليمي للناطقين بغير العربية: المعايير العلمية والفنية
د. خالد بن محمد اليوبي
- ◆ الاندماج الاجتماعي واكتساب العربية لغة ثانية: دراسة وصفية لقناعات
المتعلمين وممارساتهم
د. رياض بن صالح الذيب

مجلة الجمعية العلمية السعودية للغات العربية

العدد الثامن والثلاثون
ذو الحجة ١٤٤٧ هـ - يونيو ٢٠٢٦ م

◆ هيئة تحرير المجلة ◆

المشرف العام على المجلة، رئيس مجلس إدارة الجمعية

د. بدر بن محمد الراشد

رئيس التحرير

أ. د. عبد المجيد بن صالح الجار الله

مدير التحرير

د. سليمان بن صالح الزميع

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. إبراهيم بن عبد العزيز أبو حيمد

أ. د. أماني بنت عبد العزيز الداود

أ. د. صالح بن عبد العزيز المحمود

أ. د. عبد الرحمن بن رجا الله السلمي

أ. د. عبد العزيز بن صالح العمري

أ. د. فريد بن عبد العزيز الزامل

العدد الثامن والثلاثون

ذو الحجة ١٤٤٧ هـ / يونيو ٢٠٢٦ م

النشر الورقي: رقم الإيداع: ١٤٢٩ / ٣٣٠٢ بتاريخ ١٤٢٩ / ٦ / ٧ هـ

الرقم الدولي المعياري (ردمد): ٤١٥٥ - ١٦٥٨

النشر الإلكتروني: رقم الإيداع: ١٩٣٨ / ١٤٤٧ بتاريخ ١٤٤٧ / ٢ / ٣ هـ

الرقم الدولي المعياري (ردمد): ٤٤٠٦ - ٢٩٦١

◆ طبيعة المجلة وضوابط النشر ◆

◆ طبيعة المجلة:

١. مجلة الجمعية العلمية السعودية للغة العربية.
٢. مجلة علمية محكمة.
٣. تعنى بعلوم اللغة العربية وآدابها.
٤. تنشر البحوث والدراسات العلمية المحكمة.
٥. دورية نصف سنوية، تصدر في منتصف السنة الهجرية ونهايتها.

◆ ضوابط النشر:

أولاً: الضوابط العامة:

١. أن يكون البحث في علوم اللغة العربية وآدابها.
٢. أن يتسم بالجدة والأصالة.
٣. أن يلتزم البحث بالسلامة اللغوية، والدقة في التوثيق والتخريج.
٤. ألا يكون البحث منشوراً أو مقدماً للنشر في مجلة أخرى.
٥. ألا يكون مستلاً من عمل علمي سابق للباحث.
٦. لا يحق للباحث سحب البحث بعد إحالته إلى المحكمين.
٧. يلتزم الباحث بتعديل ملحوظات المحكمين بعد إجازته.
٨. كل بحث نُشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه العلمي والفكري، دون أدنى مسؤولية على المجلة.

ثانياً: ما يشترط في كتابة البحث وتوثيقه:

١. أن يكتب البحث على ورق من مقاس (A4).
٢. أن يكتب بخط (Traditional Arabic) بحجم (١٧) للمتن، وبحجم (١٤) للحاشية، وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرداً).
٣. أن تكتب الهوامش أسفل كل صفحة على حدة.
٤. أن يُدِيل البحث بثبت المصادر والمراجع.
٥. أن يكتب الباحث ملخصاً لبحثه باللغتين العربية والإنجليزية لا تزيد كلماته على مائتي كلمة، ويتضمن الملخص موضوع البحث وأهدافه، ومنهجه، وأهم التوصيات، والكلمات المفتاحية.
٦. رومنة المصادر والمراجع.

ثالثاً: ما يشترط عند تقديم البحث:

١. يقدم الباحث طلباً بنشره، وإقراراً يتضمن امتلاكه لحقوق الملكية الفكرية للبحث كله، والتزاماً بعدم نشر بحثه المقدم إلا بعد موافقة هيئة التحرير.
٢. يقدم الباحث نسختين من بحثه على النحو التالي:
 - نسخة من البحث خالية من اسم الباحث كاملة بصيغة (WORD).
 - نسخة من البحث خالية من اسم الباحث كاملة بصيغة (PDF)
٣. يرفق الباحث ترجمة الملخص باللغة الإنجليزية.
٤. يرسل الباحث بحثه مع الملخصات إلى منصة مجلة الجمعية:



المحتويات

- ◆ ما استظهره الأبدني من كلام سيبويه - دراسةً وصفيةً تحليلية ٩
د. ماجد بن مقبل بن محمد الخضيري
- ◆ ناصب المستثنى بـ (إلا) عند سيبويه ٧٥
د. موسى بن ناصر الموسى
- ◆ بلاغة التَّمَنِّي بـ (ليت) ومقاماتها في القرآن الكريم ١١٩
د. محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الخضير
- ◆ رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) للجاحظ - دراسة تداولية حجاجية ٢٢١
د. هند بنت داود بن سليمان الشقير
- ◆ أثر استعارة (الابن سلاح) في استرسال المعنى الشعري القديم في الرثاء؛
مقاربة أجناسية إدراكية ٢٥٧
د. محمد بن مشيب بن محمد الشهراني
- ◆ الموت والحياة في رواية (المزهاف) - دراسة سيميائية ٣١٩
د. بسمة بنت محيسن بن عواض العتيبي
- ◆ المعجم الرقمي التعليمي للناطقين بغير العربية: المعايير العلمية والفنية ٣٧٥
د. خالد بن محمد حسين اليوبي
- ◆ الاندماج الاجتماعي واكتساب العربية لغة ثانية: دراسة وصفية لقناعات
المتعلمين وممارساتهم ٤١٥
د. رياض بن صالح الذيب

رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) للجاحظ
دراسة تداولية حجاجية

Al-Jahiz's Epistle (Separating Enmity from Envy)
A Pragmatic and Argumentative Study

إعداد:

د. هند بنت داود بن سليمان الشقيير

جامعة نجران

كلية العلوم والآداب - قسم اللغة العربية

Dr. Hind bint Dawood bin Sulaiman Al-Shuqayr

Najran University,

College of Science and Arts, Department of Arabic Language

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى مقارنة رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد)؛ لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، مقارنة حجاجية تداولية؛ لما في الرسالة من مقوّمات حجاجية تستدعي النظر، والتأمل، والتحليل؛ من هنا تتبجس أهمية البحث بوصفه يبحث عن خطاب حجاجي يشف عن عقلية فذة، وبذلك تكون النظرية الحجاجية المنبثقة من التداولية أنجع النظريات في تتبع الخطاب الحجاجي في رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد)؛ فالخطاب الحجاجي هو الخطاب الذي ينهض بحجج تراثيه تقوم على المنطق، والاستدلال، والبرهنة التي من شأنها أن تؤدي إلى استمالة الآخر، والتأثير فيه، وإقناعه نحو القضية المحاج بها. ومن أجل تحقيق هذه الرغبة انتظم البحث في مقدمة كاشفة لأبعاد هيكلته، ومتبوعة بتمهيد يركز على سياق الرسالة، وموضوعها، وتقديم وجيز لمؤلفها، ثم يلي ذلك مبحثان: يتناول الأول فيهما الحجاج المبني على نوعين هما: المقدمات الحجاجية، ونظام الحجج الاتصالية. في حين يتناول الثاني: الوظائف الحجاجية؛ ليقف البحث بعد ذلك على خاتمة جامعة لما توصل إليه من نتائج.

الكلمات المفتاحية: فصل، العداوة، الحسد، الحجاج، تداولية، الجاحظ.

Abstract

This study aims to approach the message (Separating Enmity and Envy) by Abu Uthman Amr ibn Bahr al-Jahiz (255 AH) from an argumentative and pragmatic approach, as the message contains argumentative components that require consideration, contemplation, and analysis. Hence, the importance of the research emerges as it searches for an argumentative discourse that reveals a unique mind. Thus, the argumentative theory emerging from pragmatics is the most effective theory in tracking the argumentative discourse in the message (Separating Enmity and Envy). Argumentative discourse is one that is based on hierarchical arguments based on logic, reasoning, and proof that are likely to lead to attracting the other, influencing him, and convincing him of the issue being argued. In order to achieve this desire, the research is organized into an introduction that reveals the dimensions of its structure, followed by a preface that focuses on the context of the message, its subject, and a brief introduction of its author. This is followed by two chapters: the first of which deals with argumentation based on two types: argumentative introductions and the system of communicative arguments. While the second deals with argumentative functions; the research then stands at a comprehensive conclusion of the results it has reached.

Keywords: Separating, enmity, envy, argumentation, pragmatics, al-Jahiz.

المقدمة

يمثل الجاحظ أيقونة معرفية فذة على مدى العصور؛ إذ قلما يجتمع بعالم أو كاتب خصيستان هما: العلم الواسع الموسوعي، والتجربة الواقعية، وقد اجتمعت هاتان الخصيستان عند الجاحظ؛ فلم نجد روح الكاتب في كتبه فقط؛ بل نجد روح الإنسان الذي يُبصر شؤون الناس، ويتعمق بهم، ويكشف عن أسرار شتى تتجس من رحم الواقع المعيش، لقد كان هذا المزج بين العلم والتجربة خصيصة ميّزت كتابات الجاحظ، وجعلت منه علامة فارقة في الثقافة العربية.

كما يُحسب للجاحظ أنه عاش في المدة ما بين (١٥٩هـ-٢٥٥هـ)، وهي المدة التي زامنت العصر الذهبي للدولة الإسلامية؛ إذ انفتحت فيه الحضارة العربية على شتى الحضارات؛ ما ساعد هذا في زيادة الخطوة المعرفية، والعلمية لدى الجاحظ، وقد توجت هذه المعرفة بإرث معرفي ضخم حفظته لنا الثقافة العربية باسم الجاحظ، كما كشف هذا الإرث عن عقلية فذة، ومتجددة، وعلم واسع تُبرزه الدراسات التي لا تنفك تدرس ثقافة الجاحظ، ومؤلفاته؛ فهي أرضية خصبة لا تنتضب من الكشف الجديد في كل مرة يمسه الباحثون.

إن سمات الجاحظ العقلية التي تتسم بالمنطق، والحجاج، والفلسفة بارزة في كتاباته؛ ما جعلها ميداناً خصباً للدراسات التداولية الحجاجية، وعلى الرغم من وفرة الدراسة حول مؤلفات الجاحظ؛ غير أن القراءة فيها قراءات، فتنوع المعرفة، والإمكانات تجعل الباحثين يتمايزون في قراءتهم لعقلية الجاحظ، ومنطقه، ومهما بذل الباحث جهده في الوقوف على هذه العقلية؛ فإن فرصة إيجاد منافذ غير مبصرة تظل كبيرة ينتظرها حقل الدراسات النقدية.

من هنا تتجس أهمية البحث بوصفه يفتش عن حجاج مؤسس في كتابة الجاحظ،

ويكشف عن ديناميكية عقلية تميّز بها الجاحظ في عرض قضاياها، وموضوعاته، وهذا جلي في الموضوعات التي تتطلب منه استمالة الآخر، وإقناعه، وقد وقع الاختيار على إحدى رسائله الموسومة برسالة (فصل ما بين العداوة والحسد)؛ لاستجلاء هذه العقلية الحجاجية، وإبراز ذكاء الجاحظ في عرض قضيته، واستمالاته فيها للآخر، موظفاً بذلك ثقافته، وخبرته في الحياة، وتجربته الحيّة.

عطفًا على ما سبق؛ فإنّ النظرية الحجاجية المنبثقة من التداولية تفرض نفسها كنظرية تمكن الباحث من استجلاء حجاجية الجاحظ في رسالته (فصل ما بين العداوة والحسد)؛ لتمييز خطابه بنفَسٍ حجاجي، ومعلوم أنّ الخطاب الحجاجي هو الخطاب الذي ينهض بحجج تراتبية تقوم على المنطق، والاستدلال، والبرهنة التي من شأنها أن تؤدي إلى استمالة الآخر، والتأثير فيه، وإقناعه نحو القضية المحاج بها.

ومما عزّز من حظوظ دراسة رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) أنها رسالة ناطقة بالحجاج المتجدد لأي باحث، وهي قابلة لتتوَّع القراءات؛ لثراء المادة الأدبية التي وظفها الجاحظ في سبيل تحقيق غايته، كما عزز من حظوظ دراستها الوقوف على دراسات سابقة تتنزل بمنزلة الفرش المعرفي، والمهاد الذي يستضيء به أي باحث راغب بتقديم إضافة علمية على ما سبقه من الدراسات؛ ما يجعل الأبحاث جميعًا لُحمة واحدة يشدُّ بعضها بعضًا؛ فقد تنوعت الدراسات السابقة لهذه الدراسة، وكان لها سبق الفضل في تقديم النواحي العلمية والمعرفية لهذا البحث، كما كان لها الفضل في تحديد زاوية البحث، ومشكلته، وقد كان من أبرزها وأوثقها وأقربها لموضوع بحثي ما يلي:

١. خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ - مقارنة بلاغية حجاجية، محمد مشبال، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٦-٢٠١٥م.

تناول الباحث محمد مشبال رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) في الفصل الثالث تحت عنوان: (الحسد ومحنة الجاحظ)، وقامت دراسته

لهذه الرسالة على إجلاء سمات العلماء التي كشف عنها الجاحظ في رسالته كنوع من الحجاج العقلي الذي امتاز به الجاحظ، ثم انتقل الباحث إلى جزئية ثانية عنوانها بـ (حسد العلماء ومحنة الجاحظ)؛ لإثبات قضية تتمثل في أنّ الحسد في (أهل العلم أكثر، وعليهم أغلب...)، وقدّم حججه حول هذه القضية المخصوصة، وجميع حججه التي قدمها لا تتماس مع الحجج التي وردت في هذه الدراسة؛ بل جاءت هذه الدراسة لتعضدها، وتضيف عليها، أمّا في الجزئية الثالثة والأخيرة، والمعنونة بـ (في تحديد الحسد ومقارنته بالعداوة)؛ فقد مال الباحث محمد مشبال إلى التفريق بين الحسد والعداوة، والمقابلة بينهما، وتوضيح الحجة عند كل شاهد، وإن تقاطعت الشواهد الواردة في هذه الجزئية مع ما ورد في هذه الدراسة؛ غير أن كيفية التحليل وتقديم الحجة بين الدراستين مختلفان تمامًا من ناحية موضع الاستشهاد، ومناسبته للمقام؛ فقد وردت الشواهد عندي في زاوية الوظائف على الأغلب؛ ما يمنح هذه الدراسة إضافة معرفية لسابقتها التي أفادت منها.

٢. كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله أنموذجًا)، علي محمد علي سلمان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

يعدُّ هذا الكتاب مرجعًا مهمًّا لدارس رسائل الجاحظ؛ فقد خصص الباحث مدخلًا لمفاهيم الحجاج من العصر القديم حتى الحديث، ثم تطرّق لخلفية الحجاج عند الجاحظ، ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن استراتيجيات الحجاج، ووظائفه، ثم يختم دراسته بالحديث عن دائرة الحجاج، وعلى الرغم من ضخامة الكتاب؛ غير أنّ رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) لم ترد في مواضع كثيرة من الاستشهاد، ولا أبالغ إن قلت: إنها وردت في موضع واحد للدلالة على تتابع الصور الاستعارية، واختار الباحث منها مقطعًا يتيماً هو: (وحسد الجاهل أهون شوكة وأذل محناً من حسد العارف...)؛ ليقف على

زاوية الصور البيانية التي تكشف عن حسد الجاهل، وحسد العارف، وهذا الشاهد لم أتأوله في بحثي، ولم أتطرق إليه، إضافة إلى أن دراسته لا تحول دون دراسة رسالة الجاحظ؛ لعدم ارتكازه على الرسالة، وتحليلها تحليلًا يكشف عن مقدماتها الحجاجية، ووظائفها بمثل ما قدمه هذا البحث.

٣. جدلية العداوة والحسد في أدب الترسل عند الجاحظ رسالة "الفصل بين العداوة والحسد" لأبي عثمان الجاحظ أنموذجًا، فاطمة المرواني، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة حائل، العدد (٣)، يونيو ٢٠١٩م. (بحث منشور).

تناولت الباحثة رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) من جوانب مختلفة عن موضوع هذا البحث، ومنهجه ولم يكن منهجها تقديم المقدمات الحجاجية في الرسالة، أو وظائفها؛ بل كانت رسالتها وصفية تحليلية قائمة على وصف مضمون الرسالة، واستخراج مادته الأدبية، وتصنيفها إلى (أشعار، أخبار، قصص....)، ثم دراسة الجوانب الذاتية والموضوعية في الرسالة، ووضح مدى ابتعاد هاتين الدراستين عن بعضهما.

٤. التكرار الإقناعي في رسائل الجاحظ: دراسة لغوية تداولية، شفاء المحسن، مجلة جسور، العدد (٧)، يناير ٢٠١٩م.

لا تتقاطع هذه الدراسة مع هذا البحث؛ لاختلاف موضوع البحث، وزاويته، ونتائجه.

وقد انتظم البحث في: مقدمة وتمهيد، ومبحثين، ثم خاتمة؛ وذيلته بثبت للمصادر والمراجع وفق الآتي:

التمهيد:

- سياق الرسالة، وموضوعها.

- التعريف بمؤلف الرسالة.

- الحجاج: تعريفه وآلياته.
- المبحث الأول: الحجاج في رسالة "فصل ما بين العداوة والحسد":
- أولاً: المقدمات الحجاجية.
- ثانياً: نظام الحجج وأنواعه في رسالة فصل ما بين العداوة والحسد.
- المبحث الثاني: وظائف الحجاج:
- أولاً: الوظيفة الإقناعية.
- ثانياً: الوظيفة التواصلية.
- ثالثاً: الوظيفة المعرفية الحجاجية.
- خاتمة.
- ثبت المصادر والمراجع.

التمهيد

الرسالة : سياقها وموضوعها :

قبل البدء في مضامين رسالته موضوع الدراسة يجدر الإشارة إلى رسالة (الحاسد والمحسود) التي تعد من أقرب رسائل الجاحظ لرسالة (فصل بين العداوة والحسد) التي عالج فيها موضوع الحسد، غير أنَّ الجاحظ في رسالته الأولى حرص على أن يتعمق أكثر في ظاهرة الحسد وصفات الحاسد وسماته السلوكية، وكيف يترصد الحاسد بالمحسود، وكيف يتفشى هذا الداء بين الأقرباء... والعلماء أكثر من غيرهم بسبب المنافسة، في حين أنه في رسالة (فصل بين العداوة والحسد) يسعى إلى التفريق بين مفهومين هما الحسد والعداوة؛ خشية الخلط بينهما. ورسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) كتبها الجاحظ لأبي الحسن عبيد الله بن خاقان وزير المتوكل آنذاك، وموضوعها حسد العلماء للجاحظ، وخوفه من أن يتكالبوا على مؤلفاته، والطعن فيها، وقد أبان الجاحظ للوزير عن سماتهم، وما يتصفون به من خُلُقٍ ذميم يستترون به خلف رداء العلم؛ لينخدع العامة بهم، وينساقون خلفهم؛ ليشرع الجاحظ بعد ذلك في سرد الأقوال، والأخبار، والقصص لمن عانوا من حسد العلماء المزيفين؛ ويبرهن على مشروعية خوفه، وحذره من أن يطاله ما طال من سبقه من العلماء، كما يقف الجاحظ على مفهومي الحسد والعداوة، ويفرق بينهما، ويبين ضرر كل منهما؛ حتى لا يلتبس على العامة بين الحاسد، والعدو؛ إذ إنَّ كل حاسد عدو، وليس كل عدو بحاسد على حد قوله.

مما سبق يُفهم أن الرسالة جاءت في سياق تواصلٍ حجاجي أركانه:

- المخاطب: الجاحظ.
- المخاطب: أبو الحسن عبيد الله بن خاقان.

- موضوع الخطاب: حسد العلماء، ومحنة الجاحظ.

إذن جاءت رسالة الجاحظ (فصل ما بين العداوة والحسد) في سياق تواصلٍ حجاجي؛ غايته الإجابة عن عدد من الأسئلة؛ منها: ما سمات العالم الحق في مقابل سمات العالم المزيف؟ ما الفرق بين الحسد والعداوة؟ وأيهما أكثر وجعاً وأشدّ أذى؟

- التعريف بمؤلف الرسالة:

يقتضي البحث التعريف بشكل موجز عن مؤلف الرسالة، وإلا فالجاحظ أشهر من أن يُعرّف به، وبمؤلفاته، وشيوخه، ومصادر ثقافته، وليست غاية البحث الوقوف المطول على تفاصيل حياته، وثقافته، وعصره؛ فالمكتبة العربية تزخر بكم وافر من المراجع، والكتب المعنيّة بسيرة الجاحظ الثريّة لمن أراد التنقيب في هذه الزاوية، إذن تتجلى الغاية هنا في تقديم إيماضة عجلَى بما يخدم البحث حول الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب البصري؛ العالم الأديب الذي تتلمذ على يدي جهابذة العلم أمثال أبي عبيدة، والأصمعي، والأخفش والنظام... وغيرهم؛ ما منح عقلية الجاحظ التنوع المعرفي والعلمي التي تجمع فنون العلم من لغة، ودين، وأدب، وقد أتاح له الاتصال بأهل الكلام، وأصحاب المنطق، ومجالستهم، وملازمة مناظراتهم الكلامية أن يكتسب قوة الحجة، وبلاغة القول، والبراعة في الجدل، ولم يكتفِ الجاحظ بمجالس العلم؛ بل كان يأخذ زاده من كل كتاب يقع بين يديه في مختلف الفنون، وهذا تكشفه كتاباته التي تتبى بعالمٍ مطلعٍ واسع الإدراك، والمطالعة.

هذه الثقافة الواسعة متنوعة المصادر أنتجت لنا إرثاً أدبياً ضخماً من كتب، ورسائل صغيرة، وفي مؤلفاته تجده ينفث نفاثاته العلمية، وتبرز ثقافته، وإلمامه بشتى الموضوعات؛ فقد "كان عالماً طبيعياً في كتاب (الحيوان)، وعالماً نقدياً في (البيان والتبيين)، وها هو عالم اجتماعي وناقد في كتاب (البخلاء)؛ يدرس أحوال الناس من خلال سلوكهم، ومعاشرهم، يحلّل أوضاع طبقة من المجتمع العباسي

تأثرت بعوامل طارئة جديدة^(١)، وهذا دأبه في مؤلفاته أجمع، وقد بدت ثقافته، وأثر أهل الكلام والمنطق واضحا في رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد)؛ من حيث عنايته بترتيب الحجج، ومنطقية القول، وطريقة التفكير، واتخاذها من العقل ركيزة في التعليل، والحجاج... وغير ذلك؛ ما يُستدل به على نمط الجاحظ الكتابي.

الحجاج: تعريفه، وآلياته.

يُعرف الحجاج تعريفات عدة؛ نظراً لتعدد المفاهيم عند العلماء المبنية على رؤى مختلفة، وسيقتصر البحث على رؤية بيرلمان وتيتكاه حول الحجاج ومنطقاته؛ لمناسبتها مقام الحجاج في رسالة "فصل بين العداوة والحسد" للجاحظ، حيث يرى بيرلمان وتيتكاه أن موضوع نظرية الحجاج هو: "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"^(٢)، وبذلك نجد أن الحجاج يركز في المقام الأول على توظيف الآليات التي تستميل الطرف الآخر إلى الإذعان والتسليم بما يُقدم لها من منطقات حجاجية.

إنَّ الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه قائم على تقنيات حجاجية يواجه بها المتكلم المخاطب؛ لاستمالة للتصديق، والمنطقات قائمة على عدد من الآليات هي^(٣):

- المقدمات الحجاجية: وهي أس الخطيب والمنطلق لحجابه في استمالة الآخر، وهي قائمة على ثلاث منطقات: الوقائع، الحقائق، الفرضيات.
- نظام الحجج. وهي على ضربين من الطرائق: طرائق الوصل، وطرائق الاتصال. أمَّا طرائق الوصل فهي: الحجج أو الأدلة شبه المنطقية، الحجج المؤسسة على بنية الواقع، والحجج التي تستخدم الحالات الخاصة، في حين أنَّ الطرائق الانفصالية قائمة على الفصل وإحداث القطيعة الموجودة بين

(١) البخلاء، الجاحظ، ص: ١٠.

(٢) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص: ١٢.

(٣) ينظر: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص: ٤١.

عناصر لا تتجزأ بالعادة.

الحجاج في رسالة "فصل ما بين العداوة والحسد":

١. المقدمات الحجاجية:

إذا ما علمنا أنّ الحجاج هو: "مجموع تقنيات من شأنها أن تبعث على إذعان المتلقين للقضايا التي نعرضها عليهم، أو أن تزيد في درجات هذا الإذعان"^(١)، فإن المقدمات تمثل منطلق الحجاج، وطريقة عرضها، وترتيبها في الخطاب له قيمة حجاجية، ف"المقدمات المتعلقة بالقضايا التي منها يكون الانطلاق [...]؛ فهي نقطة الانطلاق، والاستدلال"^(٢)، ومن ذلك الوقائع، والوقائع "ثابتة، وتصلح لتأسيس نقطة البداية؛ فهي تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص، أو بين جميع الناس"^(٣)، وتنقسم الوقائع إلى "وقائع مشاهدة معاينة من ناحية، ووقائع مفترضة من ناحية أخرى [...]". وهناك الحقائق، وتقوم على الربط بين الوقائع، ومدارها على نظريات علمية، أو مفاهيم فلسفية، أو دينية [...]". أمّا الافتراضات فشأنها شأن الوقائع والحقائق تحظى بالموافقة العامة، ولكن الإذعان لها والتسليم بها لا يكونان قويين حتى تأتي في مسار الحجاج بعناصر أخرى تقويهما [...]". أمّا القيم فعليها مدار الحجاج بكل ضروبه. والقيم نوعان: مجردة، ومحسوسة؛ من قبيل العدل، والوطن [...]. وهناك الهرميات، وهي خاضعة لهرمية [...]". وهناك المعاني، والمواضع، وهي مخازن للحجج، أو مستودعات الحجج"^(٤).

يبدأ الحجاج في رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) للجاحظ من مفتتح الرسالة، ويعد تمهيد الجاحظ لرسائله -وتقديمها بتفردا في موضوعها، وما إلى

(١) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص: ١٤٣-١٤٤.

(٢) المرجع السابق، ص: ٢٤.

(٣) الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم الأمين الطلبة، ص: ١١١.

(٤) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص: ٢٤-٢٩.

ذلك - نقطة البدء في الحجاج؛ حيث بدأ الجاحظ رسالته بعد البسملة بقوله: ”هذا كتاب - أطل الله بقاءك - نبيل بارع، فصل فيه بين الحسد والعداوة، ولم يسبقني إليه أحد، ولا إلى كتاب فضل الوعد الذي تقدم هذا الكتاب، ولا إلى كتاب أخلاق الوزراء الذي تقدم كتاب فضل الوعد. وإنما نبئت هذه الكتب، وحسنت، وبرعت، وبذت غيرها؛ لمشاكلتها شرف الأشراف، بما فيها من الأخبار الأنيقة الغريبة، والآثار الحسنة اللطيفة، والأحاديث الباعثة على الأخلاق المحمودة، والمكارم الباقية الماثورة، مع ما تضمنته من سير الملوك والخلفاء، ووزرائهم، وأتباعهم، وما جرت عليه أحوالهم“^(١). ويظهر امتلاء النص بحمولات حجاجية تشي بتفرد الجاحظ بموضوع رسالته، وبراعته فيما تضمنته الرسالة من أخبار، وسير، وأحاديث، وغير ذلك مما يحسنه الجاحظ، ويبرع فيه، وأيضاً سبقه في كتابة الموضوع على غيره، وهو بذلك يقدم لرسالته بمقدمة حجاجية تقوم على افتراض تقبل الآخر لها بما تمتاز به من ميزات تلوها عن غيرها.

ويبدأ الحجاج بالتصاعد تدريجياً في الرسالة عندما يكمل الجاحظ مقدماته الحجاجية، ويوظف حجة السلطة، ويضمنها الوصف، ويتضح في قوله: ”فأنا أسألك بساطع كرمك وناصع فضلك، لما امتننت علي بصرف عنايتك إلى قراءتها. فإن لم يمكنك تبخرها والتقصي لجميعها، للأشغال التي تعروك، فبحسبك أن تقف على حدودها، وتتعرف معاني أبوابها بتصفح أوائلها؛ فإن معك قلباً به من اليقظة والذكاء، والتوقد والحفظ، ما يكفي معه النظر الخاطف“^(٢)؛ فهو يطلب من الوالي أن يقرأ رسالته، وإن لم يسعفه الوقت فيكفيه تأملها، وفي طلب الجاحظ من الوالي هذا الطلب ما يشي باعتداد الجاحظ بكتابته، وإتقانه لصنعتة؛ فهو يثني على الوالي، ويسبغ عليه صفات الذكاء، واليقظة، والتوقد، والجاحظ في تعزيزه لهذه الصفات على الوالي إنما يمارس سلطته الأدبية، وقدرته على الإقناع في استمالة المتلقي؛ كي

(١) رسائل الجاحظ، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، كتاب فصل ما بين العداوة والحسد، ج ٣.

ص: ٣٢٧.

(٢) المرجع السابق، الجاحظ، ص: ٣٢٧-٣٢٨.

يُقبل على الرسالة، ويتفحصها، وثمة أمر يكشفه النص، ويعززّه؛ وهو أنّ "الصفات تنهض بدور حجاجي يتمثل في كون الصفة إذ نختارها تجلو وجهة نظرنا، وموقفنا من الموضوع"^(١)، وهو ما مال إليه الجاحظ؛ إذ لم يكن له أن يثني على رسالته، ويمدحها حتى لا يضعف حجته؛ بل عزّز من سلطة رسالته بسلطة الوالي؛ فهذه الرسالة تلائم فكر الوالي المتقدّم، ونباهته، وفطنته لما تحمله من تفرد، وجِدّة، وبذلك تكون المعادلة بين الرسالة والوالي متكافئة في المقام.

ثم يدلف الجاحظ إلى موضوعه الأساس الذي من أجله كتب هذه الرسالة، ويقدم الحقائق، والوقائع، والفرضيات؛ حيث بدأه بمقدمة حجاجية تقوم على تقديم الحقائق في المفاضلة بين العلماء والحساد بقوله: "إنه لم يخلُ زمنٌ من الأزمان فيما مضى من القرون الزاهية إلا وفيه علماء محقّقون، قد قرءوا كتب من تقدّمهم، ودارسوا أهلها، ومارسوا الموافقين لهم، وعانوا المخالفين عليهم [...]، وعُرفوا بالفهم الثاقب، والعلم الناصع، [...]، ولهم حُسادٌ معارضون من أهل زمانهم في تلك العلوم، والكتب، منتحلةٌ يدعون مثل دعاويهم..."^(٢). قدّم الجاحظ حقيقة محضّة، ومعروفة لدى الناس في بروز علماء متميزين في علمهم، بارعين في مجالهم، يقابله وجود حساد لهم يدعون ما ليس عندهم، ويدعم الجاحظ حجته ويقويها بذكر الأسباب، والأمثال، فسبب ظهور هذه الفئة هو "ما رأوا من صغفٍ ضعفة القلوب، وإذلة الناس إليهم، وميل جهلاء الملوك معهم عليهم، [...] فهمروا، وهدرُوا، وتورّدوا على أهل العلم بغباوتهم، وكشفوا أغطية الجهل عن أنفسهم، وهتكوا سترًا كان مسدلاً عليهم بالصمت. فقد قيل: «الصمت زين العالم، وستر الجاهل»؛ طمعاً في الرياسة، وحباً لها. وقد قيل:

حُبُّ الرياسة داءٌ لا دواء له ... وقلّما تجد الراضين بالقسم

ولم يخلُ زمنٌ من الأزمنة من هذه الطبقة، ولا يخلو. وهلاك من هلك من الأمم

(١) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبدالله صولة، ص: ٢٢.

(٢) رسائل الجاحظ، كتاب فصل ما بين العداوة والحسد، الجاحظ، ص: ٢٢٨-٢٣٩.

فيما سلف بحبِّ الرياسة. وكذلك من يهلك إلى انقضاء الدهر فبحبِّ الرياسة“^(١)، هذه المقدمة الحجاجية تقدم لحقيقة لا ينكرها أحد، وهي وجود الحساد، وكثرتهم، وأنه ليس من سبيل للفكاك منهم في أي زمن، أراد الجاحظ من تقديمها تقوية حجته، ومضاعفتها عندما يقدم فرضيته اللاحقة لها في خوفه من الحساد، وانتحالهم لكتبه، ورسائله.

وما من شك أن الافتراضات “شأنها شأن الوقائع والحقائق تحظى بالموافقة العامة، ولكن الإذعان لها والتسليم بها لا يكونان قويين حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويهما“^(٢). والجاحظ بعدما قدّم حقائقه المحضّة في وجود الحساد في كل الأزمان يكمل رسالته بافتراض يُحتمل وقوعه قائلاً: “ولست آمن -جعلني الله فداك- أن تكون هذه الكتب التي أعنى بتأليفها، وأتأقّق في ترصيفها، يتولّى عرضها عليك من قد لبس لباس الزور في انتحال وضع مثلها، ونسب نفسه إلى القوّة على نظائرها، والمعرفة بما يقاربها، إن لم يكن أهاها فابن عمّها، وتشبّع بما لم يطعمه الله منها“^(٣)، ويعزز الجاحظ من مقدماته الحجاجية، ويطعّمها بالوقائع من واقعه “والوقائع لا تكون عرضة للدحض، أو الشك“^(٤)، وتمثّل الوقائع في واقعة المريسي مع ابن عباس الطوسي؛ عندما طعن الطوسي في كتاب المريسي، وانتقص منه، فما كان من المأمون إلا أن احتدم واضطرم، وأمر بدخول المريسي ودفاعه عن كتابه، وبعد حديث المريسي والمأمون، ونقضهم لطعن الطوسي، قال المأمون جملته: “إنّ الكتب عقول قوم وراءها عندهم حجج لها، فما ينبغي أن يُقضى على كتاب إلا إذا كان له دافع عنه، وخصم يبين عمّا فيه؛ فإنّ أبناء النعم وأولاد الأسد محسودون“^(٥). إن هذا النص يختصر الغاية التي يطلبها الجاحظ عند ذكره لهذه الواقعة التي تؤكد وجود

(١) رسائل الجاحظ، كتاب ما بين العداوة والحسد، الجاحظ، ص: ٣٣٩-٣٤٠.

(٢) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص: ٢٥.

(٣) رسائل الجاحظ، كتاب ما بين العداوة والحسد، الجاحظ، ص: ٣٤٠.

(٤) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص: ٢٤.

(٥) انظر لتفاصيل الواقعة: رسائل الجاحظ، كتاب ما بين العداوة والحسد، الجاحظ، ص: ٣٤٢-٣٤٤.

الحساد، والضرر الذي يمكن أن يطاله منهم؛ فهو غير آمن، ولا مطمئن على أن يصيبه سوء من حاسد يترصد له.

وبعد أن قدّم الجاحظ مقدماته الحجاجية المبنية على الحقائق، والفرضيات، والوقائع؛ يقوم بعرض حججه، ويبدأ في التعريف، والتصنيف، والتعداد، في حجاج يقوي بعضه بعضاً.

٢. نظام الحجاج وأنواعه في رسالة فصل ما بين العداوة والحسد:

أولاً: التعريف (الحجاج الانفصالي التابع للحجج شبه المنطقية):

والحجاج الانفصالي عبارة عن مجموعة من الحجج التي تقتضي الفصل بين المفاهيم مع وجود وحدة بينها، ”وإنما وقع الفصل بينها لأسباب دعا إليها الحجاج، والحجاج القائم على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامن بعضها مع بعض، مرده [...] وأكثر ما يكون الفصل داخل المفهوم الواحد في الحدود والتعريفات“^(١)، أما الحجج شبه منطقية فتقصد بها تلك الحجج التي ”ترمي إلى صحة الموضوع ومشروعيته بفضل ما لها من بعد عقلائي تستمدّه من علاقتها ببعض الصيغ المنطقية والرياضية“^(٢)، فهي أشبهت الطرائق الشكلية والرياضية وليست هي بذاتها، والتعريف وسيلة حجاج شبه منطقية تنهض بدور الحجاج الانفصالي بفصلها بين المفاهيم التي يحدث التداخل بينها.

اتخذ الجاحظ من التعريف وسيلة حجاجية يشرح بها ويفند معنى الحسد، وأسبابه، والعداوة، وأسبابها. وهو ما قدمه الجاحظ في رسالته عندما وقف عند مفهومي الحسد والعداوة بالتعريف، والشرح والاستشهاد؛ حيث فصل بين الاثنين بقوله: ”والعداوة لها عقل تسوس به نفسها فينجم قرنهما، وتبدى صفحتها في أوقات الهتر. وإلا فإنها كامنة تنتهز أزمئة الفرص. والحسد مسلوب المعقول بإزاء الضمير

(١) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبدالله صولة، ص: ٦٢.

(٢) المرجع السابق، ص: ٤٩.

في كل حين وزمانٍ ووقت.

ومن لؤم الحسد أنه موكل بالأدنى فالأدنى، والأخص فالأخص. والعداوة وإن كانت تقبّح الحسن؛ فهي دون الحسد؛ لأن العدو المباين قد يحول ولياً منافقاً، كما يحول المولى المنافق عدواً مبايناً.

والحاسد لا يزول عن طريقته إلا بزوال المحسود عليه عنده. والعداوة تحدث لعلّة، فإذا زالت العلة زالت معها. والحسد تركيب لعله يحسد عليه؛ فهو لا يزول إلا بزواله. ومن هذا قال معاوية -رحمه الله-: يمكنني أن أرضي الناس كلهم إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه منها إلا زوالها [...]. والعداوة تُخلَق وتُملُّ، والحسد غُضٌّ جديد، حرم أو أعطى، لا يبيد. فكلُّ حاسد عدو، وليس كل عدو بحاسد [...]. ومن الدليل على أن الحسد آلم وآذى وأوجع وأوضع من العداوة، أنه مُغرَى بفعل الله -عزَّ وجلَّ-، والعداوة عارية من ذلك لا تتصل إذا اتصلت إلا بأفعال العباد [...]. والحسد أخو الكذب، يجريان في مضمار واحد؛ فهما أليفان لا يفترقان، وضجيعان لا يتباينان. والعداوة قد تخلو من الكذب^(١). والجاحظ إنما وقف عند المفهومين؛ لما يحدثه اللبس بينهما، وأراد عبّر وقوفه بالتعريف والشرح والإيضاح لتبيان أثر الحسد، وحجم ضرره الذي يفوق العداوة، وإن كانا يشتركان في أنهما صفتان مذمومتان؛ وبذلك يكون الجاحظ قد أوضح وأبان واطمأن إلى أن قارئ رسالته لن يخلط بينهما، وأن يأخذ بيده نحو المفهوم، والذي يريده؛ فالتعريف إحدى وسائل الحجاج، وهي "وسيلة حجاج شبه منطقي، وهو أيضاً وسيلة لإحداث الفصل داخل المفاهيم، خصوصاً إذا جاءت هذه التعريفات تزعم تقديم معنى للمفهوم الحقيقي"^(٢)؛ فقد يلتبس على الآخر ماهية الحسد، أو العداوة، ويحدث الخلط بين المفهومين، لكن التعريف يؤدي مهمة الفصل بين الاثنين، وأن نميز أحدهما على الآخر، وهذا ما أراد الجاحظ أن يقدمه في رسالته.

(١) رسائل الجاحظ، كتاب فصل ما بين العداوة والحسد، الجاحظ، ص: ٣٤٥-٣٤٧.

(٢) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص: ٦٣.

ثانياً: الحجاج بالاستعارة (الحجج شبه المنطقية): المؤسسة لبنية الواقع:

ونعني بالحجج المؤسسة لبنية الواقع: "تلك الحجج القائمة على بنية الواقع تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلماً بها"^(١)، لا تقف الاستعارة عند الحد اللغوي لها؛ وإنما تتجاوزها إلى البعد الحجاجي، بحيث تشكل بنية الخطاب الحجاجي، ومقاصده، وبهذا تسهم "في بناء القول الحجاجي من مختلف النواحي الحجاجية: الاستدلال، والتأثير، والإقناع"^(٢)؛ إذ إنّ الاستعارة "تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، والاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشاراً؛ لارتباطها بمقاصد المتكلمين، وبسياقاتهم التخاطبية، والتواصلية"^(٣). وللاستعارة تأثير كبير منذ الأزل بوصفها "وسيلة تأثير في الجمهور باستعمال وسائل خطابية عبر البرهان، والعنف"^(٤).

وقد برزت الاستعارة في رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) للجاحظ أكثر ما تكون في مواضع الحجاج؛ وذلك عندما كان الجاحظ يفرق بين الحسد والعداوة، ويبين أثر كل واحد منهما؛ فقد وظف الاستعارة لئبرز مدى بشاعة كل واحد منهما؛ يقول: "والعداوة لها عقل تسوس به نفسها فينجم قرنهما، وتبدي صفحاتها في أوقات الهتر. وإلا فإنها كامنة تنتهز أزمّة الفرص"^(٥)، والناظر لحديث الجاحظ عن العداوة يجد أنه شخّص العداوة بالإنسان الذي يعي، ويعقل؛ غير أن هذا العقل يُظهر قبحه، وبشاعته في الأوقات، والمواقف التي يكشف فيها العدو المبغض، وإن كانت العداوة خفية تبرزها المواقف فإن "الحسد مسلوب المعقول بإزاء الضمير في كل حين وزمان

(١) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص: ٤٩.

(٢) عندما نتواصل نغير: مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، ص: ١١٢.

(٣) اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص: ١٠٨.

(٤) نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ريكور بول، ترجمة: سعيد الغانمي، ص: ٨٧-٨٨.

(٥) رسائل الجاحظ، كتاب ما بين العداوة والحسد، الجاحظ، ص: ٣٤٥.

ووقت^(١)؛ بل إنَّ الحسد لازم لكل صفة مذمومة وقبيحة؛ فقد قرنه بالكذب على أنهما شخصان متلازمان يسيران في نطاق واحد عندما قال: ”الحسد أخو الكذب، يجريان في مضمار واحد“^(٢). فالجاحظ هاهنا يقدم لنا أن الحسد مذموم في كل وقت، والحاسد مستتر بحسده ولؤمه في كل حين؛ فليس كل عدو حاسد، في حين أن كل حاسد عدو، والحاسد لا يكاد يخلو من سوء خلق يغذي حسده، والجاحظ إنما أراد أن يقوي حجاجه؛ بتقديمه الحسد في صورة قبيحة وبشعة منفرة للنفوس السليمة.

وفي موضع آخر يقول: ”والحسد نار وقوده الروح، لا تبوخ أبداً أو يفضى الوقود“^(٣)، وهنا جاءت الاستعارة التشخيصية كذلك لتدعم الصورة القبيحة للحسد في أنه مشتعل في النفس تغذيه الروح، دلالة على أن الحاسد يُضمّر هذا الشعور على الدوام. أمّا ”العداوة جمر يُوقده الغضب، ويطفئه الرضا، فهو مؤمل الرجوع مرجو الإنابة. والحسد جوهرٌ والعداوة اكتساب“^(٤). وتُظهر هذه الصورة أن العداوة شعور مؤقت يحرضه شعور يمكن زواله؛ فهو متبدل بتغير الشعور، ولا يظهر أن العدو شخص دائم الأذى، والجاحظ عندما يقدم هاتين الصورتين للحسد والعداوة؛ حتى يغرس في نفس القارئ مدى استدامة ضرر الحاسد، وعدم زوال الحسد، وإنما هي خصلة مذمومة لا يمكن أن ينجو منها المحسود، وبذلك تقوى حجته في خوفه من الحساد الذين يترصدون للعماء، والأدباء المتميزين أمثاله.

ثالثاً: الحجاج بالسبب (المؤسس على بنية الواقع):

ويقوم الحجاج بالسبب بذكر السبب والمسبب من الفكرة التي يناقشها المتكلم، وتعتمد هذه الحجة ”على قاعدة استنتاج تتمثل في علاقة سببية متفق عليها جميعاً،

(١) رسائل الجاحظ، كتاب ما بين العداوة والحسد، الجاحظ، ص: ٣٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص: ٣٤٧.

(٣) المرجع السابق، ص: ٣٤٧.

(٤) المرجع السابق، ص: ٣٤٧.

فيقع استنتاج شيء آخر منها^(١). وفي رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) تقوم فكرة إظهار حسد العلماء فيما بينهم، وكذلك حسد الجهلاء لهم، ويحاول الجاحظ إثبات فكرته، وإبرازها، وخوفه من أن تجد كتبه التي يُفرغ فيها جهده فئة يطعنون بها، ويقللون من شأنها، وأهميتها؛ إذ إنَّ الحسد ”في أهل العلم أكثر، وعليهم أغلب، وبهم أشدُّ لصوقاً منه بغيرهم من الملوك والسُّوقة. وكأن من ناله التّقصير في صناعة العلم عن غايته القصوى قد استشعر حسد كل ما يرد عليه من طريف أدب، أو أنيق كلام، أو بديع معنى؛ بل قد وقع بخلده لضعفه، وقرّ في روعه لخساسته، أنه لا ينال أحدٌ منهم رياسةً في صناعة، ولا يتهيأ له سياسة أهلها إلا بالطعن على نواصيهم، والعيب لجلّتهم، والتّحيف لحقوقهم“^(٢).

وحسد العلماء وطعنهم للكتب التي تبرز في أزمانهم وخوفه من أن يصيبه الطعن، والانتقاص من كتبه التي يُفرغ فيها جهده، وملكته الكتابيّة جعله يُعرض عن فكرة نسبة كتبه له، ويتحایل على قومه بنسبتها لمن سبقه من العلماء الذين يحظون بمكانة سامقة في الأدب، ”فالمؤلف القديم حجة تحظى بحسن التقدير“^(٣)؛ ما جعلهم يُقبلون على كتبه بصفتها لهؤلاء العلماء، يقول: ”وربما ألفَ الكتاب الذي هو دونه في معانيه وألفاظه، فأترجمه باسم غيري، وأحيله على من تقدّمني عصره؛ مثل ابن المقفع، والخليل، وسلّم صاحب بيت الحكمة، ويحيى بن خالد، والعنّابي، ومن أشبه هؤلاء من مؤلّفي الكتب، فيأتيني أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان أحكم من هذا الكتاب؛ لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته عليّ، ويكتبونه بخطوطهم، ويصيرونه إماماً يقتدون به، ويتدارسون به، ويتأدّبون به، ويستعملون ألفاظه، ومعانيه في كتبهم، وخطاباتهم، ويروونه عني لغيرهم من طلاب ذلك الجنس، فتثبت

(١) الحجاج في بنية كتاب ”طوق الحمامة في الألفة والألاف“ لابن حزم الأندلسي، سراب الرحموني، ص: ٢٤.

(٢) رسائل الجاحظ، كتاب ما بين العداوة والحسد، الجاحظ، ص: ٣٤٨.

(٣) الكتابة والتناسخ، الأعمال، عبد الفتاح كيليطو، ج ٢/ الماضي حاضرًا، ص: ١٨٢.

لهم به رئاسة، ويأتهم بهم قوم فيه؛ لأنه لم يترجم باسمي، ولم يُنسب إلي تأليفي^(١). والجاحظ يؤكد على أن حسد هؤلاء الفئة جعلهم يُقبلون على الكتب المنسوبة لغيره دون التفات لجودة الكتاب بقدر ما للمؤلف من مكانة تجعلهم يُعلون من شأن الكتاب، في حين لو نُسبت هذه الكتب للجاحظ فلن تحظى بالقبول، والإعلاء، والتقدير؛ ما جعل الجاحظ يتحفظ على فكرة نسبة الكتب إليه؛ لحفظها من الطعن، والانتقاص، وحتى تجد عند العلماء حظوة بالقراءة، والدرس، يؤكد قوله: ”ولربما خرج الكتاب من تحت يدي مُحصفاً كأنه متن حجر أملس، بمعانٍ لطيفة محكمة، وألفاظ شريفة فصيحة، فأخاف عليه طعن الحاسدين إن أنا نسبته إلى نفسي، وأحسد عليه من أهم بنسبته إليه لجودة نظامه وحسن كلامه، فأظهره مُبهماً غفلاً في أعراض أصول الكتب التي لا يُعرف وضاعها، فينهاون عليه انهيال الرمل، ويستبقون إلى قراءته سباق الخيل يوم الحلبة إلى غايتها“^(٢). إذن قدّم الجاحظ السبب الذي من أجله نسب بعض كتبه لمؤلفين آخرين لهم مكانتهم وتقديرهم لدى العامة، والعلماء، والمجتمع؛ لما كان في وقته من حسد جعله يلجأ إلى هذه الحيلة التي تحفظ كتبه من الطعن، والتشكيك.

رابعاً: الحجاج بالشاهد (المؤسس لبنيّة الواقع):

أكثر الجاحظ في رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) من الشواهد، والأمثلة التي تقوي قضيته، وفكرته؛ فالاستشهاد ”يقوي درجة التصديق بقاعدة ما معلومة؛ وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام“^(٣)؛ فأورد كثيراً من الأمثال، والحكم، والأخبار، وأقوال الخلفاء، وأهل العلم، والأدب؛ ليعزز من حظوظ قبول فكرته، ويبرهنها؛ فقد أعقب تخوفه من نسبة الكتب إليه بشواهد وأخبار من سبقوه من العلماء ممن نالهم الطعن، والهجاء؛ لزيادة الإقناع أنها واقعة لمن قبله، ومحتملة الوقوع عليه.

(١) رسائل الجاحظ، كتاب ما بين العداوة والحسد، الجاحظ، ص: ٣٥١.

(٢) المرجع السابق، الجاحظ، ص: ٣٥١.

(٣) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص: ٥٥.

ومن الشواهد التي استحضرها الجاحظ ليبرهن على حجته خبر مسلم بن الوليد الأنصاري "صريع الغواني"؛ يقول مسلم: "خيل إلى نوكى الشعراء أنهم لا يقضى لهم بجودة الشعر إلا بهجائي، والطعن في شعري، ولسان يهجو به عرضي، لا أنفك متهمًا من غير جُرم..."^(١)، ولا يكتفي بخبر مسلم؛ بل يعقبه مباشرة بخبر أبي الصلت؛ لزيادة التأثير، والإقناع على القارئ قائلًا: "وأخبرني أشياخنا من أهل خراسان أن أبا الصلت الهروي كان عند الفضل بن سهل ذي الرياستين بمرو؛ فقرأ عليه كتاباً ألفه النضر بن شميل، فطعن أبو الصلت فيه، وكان الفضل عارفاً بالنضر الشُميليّ، واثقاً بعلمه، مائلاً إليه؛ فأقبل على أبي الصلت وقال له: إن يحيى بن خالد قال يوماً: إن كتبي لتُعرض على من يغلظ فهمه عن معرفتها، [...] فيطعن فيها ولا يدري ما يقرأ عليه منها. إلا أن نار الحسد تلهبه فيهدي هذيان المريض، ويهمز همزات الغيّر، ثم لا يرضى أن يقف عند أول الطعن ويميل عنه حتى يستقصي على نفسه إظهار جهله عند أهل المعرفة، باستيعابه الطعن على ما لم يبلغ درايته، ولم يحط به علمه..."^(٢). وكان الجاحظ قد استشهد قبل ذلك بأقوال العلماء، والخلفاء حول الحسد؛ من ذلك قول عمر بن الخطاب "ما أحدث الله بعبد من نعمة إلا وجدت له عليها حاسداً..."، وقول عمر بن عبدالعزيز والخطاب بن نمير السّعدي، والمهلب بن أبي صفرة، والمغيرة بن شعبة، وقتيبة بن مسلم، وغيرهم. ولم يكتفِ بالأقوال؛ بل ضمّن سياق حديثه الأبيات الشعرية؛ لزيادة الحجة؛ فقد استشهد بأبيات للأخنف بن قيس في معرض نقله لأقوال الخلفاء، وأهل العلم، والأدب^(٣)، وأورد كذلك عدداً من الأمثال الموروثة من قبيل قوله: "الحُسن محسود"، وقوله: "لن تُعدم الحسناء دأماً"^(٤)؛ ف"الاستشهاد يؤتى به للتوضيح، في حين أن المثل يؤتى به للبرهنة، ولتأسيس القاعدة"^(٥).

(١) رسائل الجاحظ، كتاب ما بين العداوة والحسد، الجاحظ، ص: ٣٤٩.

(٢) المرجع السابق، ص: ٣٤٩.

(٣) المرجع السابق، ص: ٣٤٤ وما بعدها.

(٤) المرجع السابق، ص: ٣٤٤.

(٥) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص: ٥٥.

إذن جاءت رسالة الجاحظ متنوعة الشواهد، والأمثال، والأخبار، والأقوال..؛ بل كان الجاحظ حريصاً على أن تكون رسالته مليئةً بالشواهد؛ حتى لا تكاد تخلو صفحاتها من قول، أو مثل، أو بيت شعري، أو حكمة يثبتها في معرض حديثه؛ وهو بذلك يتخذ من الحجاج بالشاهد سبيلاً لتحقيق غايته، والوصول إلى مآربه، وغايته.

المبحث الثاني

وظائف الحجاج

بعد تأمل طويل في رسالة الجاحظ (فصل ما بين العداوة والحسد) وجدت أن الجاحظ عمّد إلى إثراء رسالته بكمّ من المعلومات والحجج التي تدعم موضوعه، وتغذيه، وتقوي دعائمه، و”غاية الحجاج التأثير في الإنسان بأن يجد نفسه مدفوعاً إلى العمل، أو مهياً لإنجاز عمل محتمل“^(١). ثم مال الجاحظ إلى إثراء هذه المعرفة بالحجاج، والبلاغة، وخير ما يعبر عن ذلك من الوظائف هي: الوظيفة الإقناعية، وقد ظهر أن الجاحظ كان مدفوعاً لتقديم ما يتعرض له العلماء من حسد، وما يعقّب ذلك من ضرر عليهم، ولا شك أن أي دعوى قائمة تتطلب أن يكون هناك طرفان: منشئ، ومستقبل؛ وبذا تكون الوظيفة التواصلية أدعى في هذا المقام، والتعبير عنه، كما أفاد الجاحظ من معرفته، وبلاغته الحجاجية في تقديم دعواه بشكل يجذب فيه الآخر نحو قضيته، ومن هنا يمكن أن نقول: إن الوظيفة الثالثة التي تستدعيها رسالة الجاحظ هي: الوظيفة المعرفية الحجاجية.

أولاً: الوظيفة الإقناعية؛

بعد أن وضّح الجاحظ بين فئتين من العلماء؛ انتقل بعد ذلك للفصل بين مفهومَي الحسد، والعداوة، وقد تأتي له ذلك بالحجاج القائم على الوصف، والمقارنة، والمجاز؛ لتنبس بذلك الوظيفة الحجاجية البلاغية الإقناعية من رحم الوظيفة المعرفية؛ فالوظيفة البلاغية قائمة على المعرفة، والاستشهاد، وعلى مخزون الكاتب الثقافي المعرفي، والجاحظ معروف بثقافته الواسعة، وتشعب موضوعاتها، واستطراداته؛ ويدلل على ذلك علمه الواسع، ودرأته بشتى الموضوعات، وقد وظّف

(١) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبدالله صولة، ص: ١٤٤.

الجاحظ هذه المعرفة في رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد)؛ وهي رسالة تضم مادة أدبية متنوعة من الشعر، والأخبار، والقصص، والأمثال العربية، والأقوال المأثورة عن أهل الحكمة، والرأي، ولا تخلو الرسالة من الاستعارات البلاغية.

والصورة الفنية في البلاغة الجديدة (الحجاج) من "أهم التقنيات التي يتوسل بها الخطاب في التأثير في المتلقين، وإقناعهم"^(١)، والتي أدت دورها في إظهار قبح الحسد، والعداوة؛ فقد أحسن الجاحظ في لباس كل صفة لبوسها الملائم، وفي تقريب الفرق بين الصفتين.

وقد شرع الجاحظ في إبراز قبح الحسد، وتقريب وجهة نظره حول مفهوم الحسد؛ بتوظيف الاستعارة في مواضع شتى؛ من ذلك قوله: "الحسد أخو الكذب، يجريان في مضمار واحد"^(٢). لقد قام الجاحظ بأنسنة الحسد، والكذب؛ بحملهما على فعل الجري؛ فلم يكن الجاحظ يفصل بين الحاسد والكاذب؛ فكلاهما في القبح نفسه، وفي المنزلة نفسها، وفي المضمار نفسه. لقد كان الجاحظ ذكياً بوصف الحسد، والكذب، ثم الانتقال بعد ذلك لوصف الأثر الذي يوقعه الحسد على نفس صاحبه؛ ليحيط القارئ برؤية شاملة؛ من أجل استمالاته أكثر نحو قضيته، والتعاطف معه، وقد وجد الجاحظ أن الاستعارة خير من يؤدي هذه المهمة في إيصال هذا الأثر، فالحسد "نار وقوده الروح، لا تبوخ أبداً أو يفضى الوقود"^(٣)؛ يظل الحاسد يكتوي بنار حسده التي لا تنطفئ، ولا تزول؛ وفي ذلك دلالة على استمراريتها في روح صاحبها الحاسد؛ وبذلك تكون الاستعارة "أدعى من الحقيقة لتحريك همّة المستمع إلى الاقتناع بها، والالتزام بقيمها"^(٤). وفي معرض حديثه عن الحسد تظهر صفة ذميمة هي العداوة؛ غير أنها تنزل بمنزلة أقل من الحسد، فالضرر فيها أخف ممن يحمل في قلبه الحسد؛ فالعدو يزول ضرره بزوال المثير له؛ إذ إن "العداوة

(١) كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله أنموذجاً)، علي محمد علي سلمان، ص: ٢٤٢.

(٢) رسائل الجاحظ، كتاب ما بين العداوة والحسد، الجاحظ، ص: ٣٤٧.

(٣) المرجع السابق، ص: ٣٤٧.

(٤) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص: ٣١٢.

جمر يوقده الغضب، ويطفئه الرضا^(١)، والعداوة "عقل تسوس به نفسها فينجم قرنّها"^(٢)؛ فالعداوة مؤقتة، ولا تتأصل بنفس صاحبها؛ بعكس الحسد الذي هو جذر متأصل يتغذى من روح صاحبه. إن توظيف الجاحظ للاستعارات التي يعضد بعضها بعضاً؛ يعزز فكرته في الاحتجاج؛ وذلك بما "تضفيه كل واحدة إلى سابقتها من تأثير عاطفي يرفع درجة حرارة التعبير الشعورية"^(٣).

ومن أجل خدمة قضيته، وكسب أكبر فرصة للاحتجاج؛ توجّ الجاحظ حديثه بالمفاضلة بين المفهومين، والتفضيل، وإيضاح أثر كل منهما؛ ف"الحسد ألم وآذى وأوجع وأوضع من العداوة"^(٤)، وفي هذا دلالة على أن الحسد ضرره أقوى، وأشدّ ألماً من العداوة. ويرى الجاحظ أن الحسد "في أهل العلم أكثر، وعليهم أغلب، وبهم أشدّ لصوقاً"^(٥)؛ فالعالم المزيّف تغلفه نار الحسد والغيرة من أن يبرز نجم عالم آخر، وبذلك تجده يقلل من شأن الآخرين، وعلمهم؛ حتى يحافظ على مكانته. وقد أشار الجاحظ إلى منحنى خطير في أنّ "كل حاسد عدو، وليس كل عدو بحاسد"^(٦)، وهذا يدل على أن الحسد تعضده خصال سيئة أخرى، ويجذبها إليه، ولا يكتفي بنفسه، ومن أجل ذلك فإن "الحسد أنثى؛ لأنه ذليل، والعداوة ذكر فحل؛ لأنها عزيزة"^(٧). إنّ في إنزال الجاحظ للحسد منزلة الأنثى دلالة على القيمة المعرفية التي سادت في عصر الجاحظ، وما قبله؛ مؤثاتها أفضلية الرجل على المرأة آنذاك^(٨).

(١) رسائل الجاحظ، كتاب ما بين العداوة والحسد، الجاحظ، ص: ٣٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص: ٣٤٥.

(٣) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، ص: ٣٠٦.

(٤) رسائل الجاحظ، كتاب ما بين العداوة والحسد، الجاحظ، ص: ٣٤٦.

(٥) المرجع السابق، ص: ٣٤٨.

(٦) المرجع السابق، ص: ٣٤٦.

(٧) المرجع السابق، ص: ٣٤٧.

(٨) ولا أدل من ذلك إلا قول الفرزدق في امرأة قالت شعراً: "إذا صاحبت الدجاجة صياح الديك فلتدبح"، الميداني، "مجمع الأمثال"، ١/٦١. ويتضح ذلك أكثر عند الأصمعي عندما سئل عن فحولة عدي بن زيد قال: (ليس بفحل ولا أنثى)، فمعيار الإبداع عنده الفحولة، والأنوثة ضعف. انظر: "سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي وردّه عليه في فحولة الشعراء"، تحقيق: محمد عودة، مراجعة: =

لا شك أنَّ الجاحظ قد وظف مهاراته المعرفية والموسوعية في إبراز قُبْح الحسد، وإنزاله لصاحبه منزلاً وضيعاً بين أهل العلم، والعامَّة، ولم يكن له هذا إلا ليصون علمه، ويحميه من هذه الفئة؛ فهو صنع بهذه الرسالة وبما تتضمنه من حقائق ومعارف درعاً له يقيه من أن يمسَّ كتبه الطعن، والتشكيك فيها.

ثانياً: الوظيفة التواصلية:

من المعروف أنَّ المراسلات الأدبية تنهض بالوظيفة التواصلية؛ بل هي الوسيلة التي يعتمد إليها الأديب في عرض آرائه وأفكاره، وغير ذلك، وهو ما تحققه رسالة (فصل بين العداوة والحسد)؛ إذ بدأ الجاحظ رسالته بكلام يحمل أبعاداً تداولية تتمثل في خطاب ذي حمولات حجاجية؛ فالرسالة تحمل في مضمونها قلق الجاحظ من أن يضيع جهده، ويُنسب علمه لغيره، أو أن يُطعن في كتابه من الحاسدين؛ فقد أتى الجاحظ بعلم لم يُسبق إليه، وهذا مدعاة لإثارة الحاسدين، والمتربصين، ومَن أشبههم، وبما أنَّ ”الحجاج يفيد التواصل؛ فنحن في موقف تواصلٍ يتضمن مثل أي موقف من هذا النمط رسالة، ومشاركين“^(١)، وهو ما حرص الجاحظ على أن يفيد منه، ويبرز قضيته بخطاب تواصلٍ حجاجي؛ يهدف عن طريقه إلى جذب المتلقي، واستمالته نحو قضيته، والتعاطف معه، فالمخاطب هو ”الهدف المتوخى من الفعل البلاغي؛ ولذلك فإنَّ المخاطبَ مطالبٌ بتكييف استراتيجياته؛ حتى يتمكن الأول من تصديقه، وفهمه، والاقتناع به“^(٢).

لقد كان الجاحظ على وعي تام بطبيعة العملية التواصلية، والتداولية عبر توجيه خطابه إلى وزير المتوكل (عبيد الله بن خاقان) فيطلب منه قراءة الرسالة، والتمعن

= رمضان عبد التواب، ص: ٣٧. ويتضح هذا حتى في نقد الشعر آنذاك: إذ يعاب على الشاعر ليونة شعره، وهذا جليٌّ في نقد عبد الملك بن مروان لابن قيس الرُّقيات عندما أثني على شعره، لكنه عاب عليه تخنيث قوافيه، (إنَّ الحوادث بالمدينة قد×××أوجعني وقرعن مرويته...)، عندما أشد ابن الرُّقيات: انظر: أبو القاسم الزجاجي، "محاسن العلماء"، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ١٤٤.

(١) الحجاج في التواصل، فيليب بروطون، ترجمة: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي، ص: ٣٣.

(٢) **الحجاج في البلاغة المعاصرة**، بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم الأمين الطلبة، ص: ٢٤٦

فيها؛ لأهمية مضمونها، يؤكد قوله: ”فأنا أسألك بساطع كرمك وناصع فضلك، لما امتننت عليّ بصرف عنايتك إلى قراءتها. فإن لم يمكنك تبخّرها والتقصّي لجمعها، للأشغال التي تعروك، فبحسبك أن تقف على حدودها، وتتعرف معاني أبوابها بتصفح أوائلها؛ فإن معك قلباً به من اليقظة والذكاء، والتوقد والحفظ، ما يكفي معه النظر الخاطف“^(١).

لقد كانت الرسالة تحمل قيمة اجتماعية وأدبية؛ لما فيها من فكر وآراء حول فئة من فئات المجتمع، وتسليط الضوء على زوايا وموضوعات لم تُطرق من قبل الجاحظ، والملاحظ أنّ الجاحظ نهض بالعملية التواصلية على الأغلب، وكان معنياً بتقديم الحجة بعد الحجة، ويبرهن عليها بالدليل؛ لزيادة الإقناع، والتأثير على المتلقي.

ثالثاً: الوظيفة المعرفية الحجاجية:

تجلت الوظيفة المعرفية الحجاجية في رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) عندما تناول الجاحظ موضوع الحسد، والعداوة، وابتدأ فصول قضيته بالفصل بين نوعين من العلماء: فئة العلماء الفضلاء، وفئة العلماء الحاسدين المدّعين، وقد تطرّق الجاحظ لصفاتهم، وكشف عن سماتهم، فالعلماء المحقّقون ”قرؤوا كتب من تقدمهم، [...] فمخضوا الحكمة، وعجموا عيدانها، [...] عرّفوا بالفهم الثاقب، والعلم الناصع...“^(٢). أما العلماء المدّعون ”لبسوا لباس الزور [...] يحتذون أمثلة المحقّقين في زيّهم وهدْيهم، ويقتفون آثارهم في ألفاظهم وألحظهم، [...] فاستمالوا بذلك ضعفاء العامة...“^(٣). لا شك أنّ الجاحظ عندما كشف عن سمات هاتين الفئتين أراد أن يجلو الوهم، واللبس اللذين قد يقعان عند العامة للعالم الحقيقي، والعالم المدّعي، وفي هذا حماية للعامة منهم، وكذلك أراد أن يحمي كتبه من

(١) رسائل الجاحظ، كتاب ما بين العداوة والحسد، الجاحظ، ص: ٣٢٧-٣٢٨.

(٢) المرجع السابق، الجاحظ، ص: ٣٢٨.

(٣) المرجع السابق، الجاحظ، ص: ٣٢٩.

أن يطالها الطعن من هؤلاء العلماء المدَّعين، وأن يكون العامة على وعي بهؤلاء المنتحلين، والمزورين ممن تطفلوا على العلم، وأفسدوه بحسدهم.

لقد حوت الرسالة كمًّا هائلًا من الحجج القائمة بمعرفة أحوال الحاسدين، وسماتهم، والضرر الذي يلحقونه بالآخرين، من مثل قوله: ”والحاسد لا يزول عن طريقته إلا بزوال المحسود عليه عنده. والعداوة تحدث لعلّة فإذا زالت العلة زالت معها. والחסد تركيب لعلّة يحسد عليه فهو لا يزول إلا بزواله“^(١)، وقوله: ”والחסد أذل نفسا من أن يجاثى أحدا، والعداوة إنما قدمت عليه لأنها عزيزة منيعة، ويقال: الحسد لا يبدو إلا في العين وعلى اللسان المقصور عند أهله المؤتلفين على... والعداوة تبدو وتنجم قرونها وينبسط لسانها عند الموافقين له والمخالفين عليه“^(٢)، ومنه ما جاء في إثبات مدى قباحة الحسد وأنه يتنزل منزلة أذل من العداوة، قوله: ”ومما يدلك على أن الحسد أخس وأغبى من العداوة، أن الملل كلها ذمته وعابته“^(٣).

ونجد أن الجاحظ وقف كثيرًا عند حسد العلماء؛ فهو لب رسالته، ومضمونها، فحسد العالم أشد مضاضة من غيره؛ إذ يحمله حسده على بهت أعمال الآخرين، والطعن فيها، من مثل وقفته بين ضرر الحاسد الجاهل والحاسد العارف، يقول: ”وحسد الجاهل أهون شوكة وأذل محنا، من حسد العارف الفطن؛ لأن الحاسد الجاهل يبتدر إلى الطعن على الكتاب في أول وهلة يقرأ عليه، [...] والحاسد العارف الذي فيه تقيا ومعه مسكه وبه طعم أو حياة، إذا أراد أن يفتال الكتاب ويحتال في إسقاطه، تصفح أوراقه ووقف على حدوده ومفاصله، وردد فيه بصره وراجع فكره، وأظهر عند السيد الذي هو بحضرته وجلسائه، من التثبت والتأني حبالَةً يقتنص بها قلوبهم“^(٤).

ومن أجل ذلك حرص الجاحظ على تقديم الحجة تلو الحجة؛ لإقناع الآخر، واستمالاته نحو قضيته، وقد ظهر هذا في مواضع كثيرة من البحث.

(١) رسائل الجاحظ، كتاب ما بين العداوة والحسد، الجاحظ، ص: ٣٤٥.

(٢) المرجع السابق، الجاحظ، ص: ٣٥٦.

(٣) المرجع السابق، الجاحظ، ص: ٣٥٧.

(٤) المرجع السابق، الجاحظ، ص: ٣٥١-٣٥٢.

الخاتمة

في الختام؛ يمكن القول: إنّ رسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) وثيقة أدبية نشأت في سياق تداولي حجاجي، حشد فيها الجاحظ عددًا من الحجج التي تنهض بوظائف، وغايات ينشدها الجاحظ، وقد خلص البحث إلى نتائج من أبرزها:

- أسّس الجاحظ رسالته بمقدمات حجاجية منذ منطلق خطابه الترسلّي؛ ما منح نصّه بلاغة حجاجية، عزّزت من أهمية موضوعه، وقضيته المطروحة.
- كشفت الرسالة عن عقلية الجاحظ الحجاجية؛ إذ برزت شخصية العالم صاحب المنطق، والحجة؛ فهو يدلّل، ويستشهد، ويقدم الوقائع والأدلة بسياقات متنوعة؛ إذ نجد الشواهد الشعرية، والأمثال، والقصص، والأخبار، والوقائع التي تُبرز قضيته.
- ومما يتصل بالسابق؛ فإن هذه الشواهد الأدبية بتنوعها وفضاءها الواسع تشي بعقلية علمية أدبية واسعة الاطلاع؛ ما منحها قوة في تخيّر الشاهد الذي يعزز النص، ويقويه.
- قدّم الجاحظ الحجج التي تخدم قضيته ونوع في حججه؛ فتجد حججًا متنوعة ما بين التعريف، والاستعارة، والسبب، والشاهد؛ ما أضفى على القضية المتانة، والقوة الحجاجية.
- تنوعت الوظائف الحجاجية في النص؛ ما بين وظيفة تواصلية تجيء طوعًا؛ لأنّ المقام جاء في سياق ترسلي تواصلي، ووظيفة تفرضها ثقافة الجاحظ، ومدى حرصه على تقديم قضيته، وتقديره بها، وهي الوظيفة المعرفية الحجاجية. وأخيرًا فإن غاية الحجاج هي الإقناع؛ لذا جاءت الوظيفة البلاغية الإقناعية لتكشف عن جوانب خلقية بطابع حجاجي؛ يستميل بها

الجاحظ الآخر، ويكسب تعاطفه.

وأخيراً، وعلى كثرة الدراسات حول تراث الجاحظ الأدبي؛ فإنني على يقين أنَّ عقلية الجاحظ المنشورة في كتبه تنبئ بمزيد من الدراسات المتجددة، يعقب بعضها بعضاً؛ إذ إنَّ الجاحظ يمنح الباحثين زوايا متنوعة من الدرس النقدي؛ لما يتميز به أسلوبه الكتابي من عمق، وسعة اطلاع، وهذا بلا شك يمنح الباحث زوايا متنوعة من الدرس النقدي للمؤلف الواحد، وبلا شك أنَّ هذه الرسالة التي وقفتُ عليها من منظور حجاجي تداولي، وما زالت بحاجة إلى أن يُنظر فيها من زاوية تكشف عن زوايا لم يمسه البحث، أو تُنظر في خطاب الجاحظ حول مفهومَي الحسد، والعداوة، ودراستهما دراسة ثقافية نقدية.

المصادر والمراجع

المصدر

- رسائل الجاحظ، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون ، رسالة ما بين العداوة والحسد ، مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ج٢.

المراجع

- البخلاء، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.
- الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٨م.
- الحجاج في التواصل، فيليب بروتون، ترجمة: محمد مشبال وعبدالواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، عدد ٢٣٢٨، ط١، ٢٠١٣م.
- الحجاج في بنية كتاب ”طوق الحمامة في الألفة والألاف“ لابن حزم الأندلسي، سراب الرحموني، دار سحر المعرفة، تونس، ط١، ٢٠١٣م.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبدالرحمن، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م.
- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
- الكتابة والتناسخ، عبدالفتاح كيليطو، الأعمال، الجزء الثاني، الماضي حاضراً، دار تويقال، ط١، ٢٠١٥م.
- سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي وردّه عليه في فحولة الشعراء، تحقيق: محمد عودة، مراجعة: رمضان عبدالتواب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٤م.
- مجالس العلماء، أبو القاسم الزجاجي ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الجزء الأول.
- مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين، دار المعرفة، بيروت، الجزء الأول.

- نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، ريكور بول، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط٢، ٢٠٠٦م.
- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- عندما نتواصل نغير: مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٦م.
- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبدالله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١١م.
- كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله أنموذجا)، علي محمد علي سلمان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

Resources & References

Resources:

- “Rsā’il L-Jāhẓ”, Al-Jahiz, investigated by Abd al-Salam Harun, (The Book Between Enmity and Envy, Al-Khanji Library, 1384H-1964G), Vol. 3.

References:

- Ālbkhlā’, Al-Jahiz, Dar and Library of Al-Hilal, Beirut, 2nd ed., 1419H.
- Ālhjāj Fi L-Blāghṭ L-M’āṣrṭ, Bḥṭh Fī Blāghṭ N-Nqd L-M’āṣr, Mohammed Salim Al-Amin Al-Talaba, Dar Al-Kitab Al-Jadeed United, 1st ed., 2008.
- Ālhjāj Fi T-Twāṣl, Philippe Brotton, translated by Mohammed Mishbal and Abdul-Wahid Al-Tahami Al-Ilmi, Cairo National Center for Translation, No. 2338, 1st ed., 2013.
- Ālhjāj Fi Bnīt Ktāb”Tūq L-Hmāmt Fi L-Alft Wāl’alāf, Sarab Al-Rahmouni, by Ibn Hazm Al-Andalusi, Dar Sahar Al-Ma’rifa, Tunis, 1st ed., 2013G.
- L-Lsān Wālmīzān Aw T-Tkūthr L-’qī, Taha Abdulrahman, Casablanca Arab Cultural Center, 1st ed., 1998.
- Āllghṭ Wālhjāj, Abu Bakr Al-Azzawi, Casablanca Al-Umda Fi Al-Tabaa, 1st ed., 1426-2006G.
- Ālktābt Wālnāskh, L-A’māl, Abdel Fattah Kilito, Part Two, The Past and the Present, Dar Toubkal, 1st ed., 2015.
- “Su’ālāt Abī Ḥātm S-Sjstānī Lī’aṣmī Ūrdwh ‘līh Fī Fḥūlt Sh-Sh’rā”, investigated by Mohammed Awda, reviewed by Ramadan Abdel Tawab, Library of Religious Culture, 1994.
- Mjāls L-’Imā’, Abu al-Qasim Al-Zajjaji, investigated by Abd al-Salam Harun, Al-Khanji Library, Cairo, Dar Al-Rifai, Riyadh, 2nd ed., 1403H-1983G, Part One.
- Mjm’ L-Amthāl, Al-Maydani, investigated by Mohammed Muhyi al-Din, Dar Al-Ma’rifa, Beirut, Part One.
- Nzrīt T-T’awyl, L-Khṭāb Ūfā’īd L-M’n, Paul Ricoeur, translated by Saeed Al-Ghanimi, Casablanca, Arab Cultural Center, Morocco, 2nd ed., 2006.
- ’Im L-Aslūb Mbād’ih Wijrā’āth, Salah Fadl, Dar al-Shorouk, Cairo, 1st ed., 1998).
- ’ndmā Ntwāṣl Nghīr: Mqārḇt Tdāūlīt M’rīt Lālīāt T-Twāṣl Wālhjāj, Abdulsalam Ashir, Casablanca, Africa East, Morocco, 2006.
- Fī Nzrīt L-Hjāj Drāsāt Ūttbīqāt, Abdullah Sawla, Maskiliani Publishing and Distribution, Tunis, 1st ed., 2011.
- Ktābt L-Jāhẓ Fī Dū’ Nzrīāt L-Hjāj (Rsā’ilh Anmūdhjā, Ali Mohammed Ali Salman, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1st ed., 2010.

مَجَلَّةُ الْجَمْعِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ السُّعُوتِيَّةِ لِلْغَلَاةِ عَرَبِيَّةٍ

